تنشر المدى رأي الناقد والمعماري خالد السلطاني في موضوع دار المعمارية العالمية زهاء حديد الذي يتعرض الى الإهمال، من دون تدخل من المؤسسات الثقافية، بالحفاظ على هذا الإرث.. وهي فرصة لفتح باب المناقشة والحوار في موضوع الاهتمام برموزنا وشواخصنا الثقافية وحمايتها من العبث.

المدى الثقافي

أعيدوا لنا "دارة زهاء"

د. خالد السلطاني
معمار واكاديمي

... وزهاء، الواردة في العنوان، هي طبعاً، "زهاء حديد": المعمارة المتميزة والمجددة، ذات الشهرة العالمية الواسعة؛ و"دارتها" – هو بيتها البغدادي، الذي ولدت فيه بتاريخ ٣١ تشرين الاول ١٩٥٠، وترعرعت به، قبل ان ترحل الى لبنان، لدراسة الرياضيات في الجامعة الامريكية ببيروت، ومن ثم الى المملكة المتحدة، سنة ١٩٧٢، لكن هذه المرة لدراسة العمارة، التي نالت شهادة تخرجها عام ١٩٧٧، من "مدرسة العمارة التابعة للجمعية المعمارية" AA school of Architecture العريقة بلندن، المعروفة اختصارا بـ "AA"، وقد انضمت مباشرة عند حصولها على دبلومها المعماري، الى مكتب استاذها "ريم كولهاس"، لكنها سرعان ما تركته لتؤسس لنفسها، بعد ذلك، مكتبا استشاريا خاصا بها عام ١٩٧٩.

ومنذ نجاحها المدوي، في مسابقة مشروع (القمة) Peak في هونغ كونغ عام ١٩٨٢، باحرازها المرتبة الاولى، عرف العالم المهني مقاربتها المعبرة شديدة التميز، التي ظلت على امتداد سنين طويلة تسعى وراء انضاج لغتها، مرسخة تمثلاتها في مشاريع معمارية، ابهرت الوسط المعماري لجهة جدة طروحاتها التكوينية وقطيعتها مع المتداول التصميمي في آن؛ مستلهمة خصائص مقاربتها من الحفر في اركيولوجية الحركات الحداثية المعمارية بضمنها التكعيبية والمستقبلية، والسوبرماتية، والكونستروكتفيزم، فضلا على اهتمامها ورصدها لخصائص عمارة مجايليها وما قبلهم، وخصوصا اعمال لو كوربوزيه المتأخرة واشتغالات "اوسكار نيماير" التصميمية المتجددة.

تتربع، الآن، زهاء حديد، على ارث تصميمي، اجتهدت، بدأب نادر، ان تصوغ عناصره بجهدها الذاتي، ما اهل مكتبها المعماري، ليكون واحدا من اشهر مكاتب الاستشارية العالمية في الوقت الحالي. ان عمارة زهاء، تحضر الآن حضورا بليغاً في المشهد المعماري العالمي، بفضل استثنائية لغتها المميزة، وهي لهذا تشكل أهمية قصوى في تنوعيات منجز ذلك المشهد. وهذه الاهمية تستقيها، كما اشرنا في دراستنا الاخيرة عنها، من كونها ".. تعتبر احدى تجليات مفاهيم ما بعد الحداثة، المفاهيم القادرة، تبعا لخصوصيتها المعوّمة، على إستيلاد مقاربات جديدة ومتجددة. فعمارتها تنزع للتعبير عن مرجعية تصميمية هي خليط بين توق توظيف الاشارات المجازية والسعي وراء الافصاح عن هوى التجريد. انها في هذه الحالة تتخطى حتى اطر مفاهيم المقاربة "التفكيكية"، المتخمة عادة بغرائبية الاشكال التصميمية والمتجاوزة "للتابوات" البصرية. لكن عمارتها مع هذا، (وربما بالاضافة الى هذا)، تظل امينة لتحقيق مفهوم "الازاحة" Displacement في دلالاته التفكيكية، فهي تنزع الى "فك ارتباط" العمارة من خاصية الاستقرار والتموضع. وهذا النزوع يظل بالطبع مشوباً بالمفارقة. ذلك لان الامر كما يقول "بيتر ايزينمان" (وهو احد مناصري المنهج التفكيكي المعماري)، يتطلع الى "نزع شيء من موضعه هو بالاساس متموضع!". انها بالتالي، تدعونا الى نسيان وحتى هجر ما وسم العمارة السابقة من قيم ومبادئ، واحلال بدلا عنها قيماً جديدة تكون متساوقة مع متطابقات العصر، عصر المعرفة المتجددة، والبيئة المعلوماتية المتحكمة بها الالكترونيات، انها باختصار تدفع في اتجاه الغاء قوانين الهندسة التقليدية المألوفة، والتوجه نحو صياغات تكوينية تتحدى قوانين الجاذبية، وتكون متخمة بالالتواءات والانحرافات والهشاشة والتنافر والتشظي وعدم التناغم بين عناصرها التصميمية".

تتربع زهاء حديد، على ارث تصميمي، اجتهدت، بدأب نادر، ان تصوغ عناصره بجهدها الذاتي

هذا البيت الكبير، يمكن له ان يكون منتدى معماريا، تعرض في احيازه مشاريع العمارة والعمران

تمثل عمارة زهاء حديد، الآن، ظاهرة لافتة في المشهد المعماري ما بعد الحداثي. وتستقي تلك الظاهرة مقوماتها، ليس فقط، من تأثيرات الجانب الايجابي المتعاطف مع خصوصية تلك العمارة، وانما ايضا، بسبب ما تثيره تلك العمارة من سجال مهني وما تحدثه من تباين في الرؤى، لجهة تقبل تلك العمارة، أو رفض لها. فمثلما تحظى عمارتها باعجاب البعض وتعاطفه معها، فهي ايضا تجد عدم اكتراث وحتى انكار، يصل حد الاستهجان، من لدن البعض الآخر من المتلقين العاديين وحتى المهنيين. لكن عمارتها، مع هذا، ماانفكت تعتبر تمثيلا لاوج اللحظة الابداعية في الفكر المعماري المعاصر. ويتساءل المرؤ، كيف قدر لامرأة، (وفوق ذلك، امرأة ذات اصول شرقية!)، ان تحقق بمفردها، تلك الانجازات المعمارية المرموقة؟!. ربما، وحدهم المهنيون، الساكنون في الغرب، او المقيمون فيه؛ هم الذين يعرفوا جيدا حدة سباق الافكار المتصارعة هناك، بوسعهم ان يقيموا، بموضوعية، نوعية المأثرة الابداعية وطبيعتها التي اجترحتها زهاء حديد، عندما ارتقت بعمارتها لتكون حدثا فنيا فريدا ومؤثرا، في الخطاب المعماري العالمي!. اذ لا تزال الغالبية العظمى من المتلقين، تعتقد ان مجرد وجود الانسان في الغرب، يعتبر امرا كافيا (وكفيلا) لان تفتح امامه ابواب عديدة؛ تقود جميعها، نحو الشهرة او الثراء، متغافلين عن جهل او تجاهل ضراوة ذلك السباق الابداعي واشتراطاته القاسية لجهة تأمين موقع قدم متقدم فيه.

يقال ان توافر وتعايش مجموعة من المؤثرات والوقائع المختلفة وحضورها جنباً الى جنب بالمشهد، في لحظة تاريخية محددة، يسهم في تأسيس، ومن ثم تكوّن ظاهرة ابداعية ما، ويبرزها في الخطاب. لكن ذلك التأسيس المفضي الى التكوين، يستدعي اولا، واساساً، حضور فرد (افراد)، بحسّ خاص، يتمتع بقابلية نادرة للاستشعار بوجود حراك تلك المؤثرات والاحساس بحضور تلك الوقائع، ويمتلك في الوقت ذاته، امكانات استثنائية تؤهله القيام بتمثيل تلك الظاهرة وتحمل عواقبها. يقال ايضاً، أن الظروف الموضوعية التي شكلت الخطاب الابداعي في لندن وقتذاك، وتحديداً في نهاية السبعينيات، بضمنها الخطاب المعماري، المنطوي على تكثيف ارهاصات التغيير في الذائقة الفنية، والحافل بشيوع الافكار التنظيرية المتنوعة، الحاثة على العصيان لما هو سائد تصميمياً والتمرد عليه، ووصول مسار الحداثة المعمارية الى ما يشبه الطريق المسدود، متمظهراً باختناقات اسلوبية، والمهم ايضا، "مصادفة" وجود زهاء حديد: المتخرجة توا من الـ "AA"، هي الغاصة في هوى التجديد، والقريبة جدا من مركز بث الافكار التجديدية الداعية الى التغيير والقطيعة معا؛ ما جعل عمارة الاخيرة توصف كاحدى أهم تجليات تلك الظاهرة الابداعية، والتعبير الكفوء لها. بمعنى آخر، توافر لعمارة زهاء، ما لا يمكن ان يتوافر لغيرها: لحظة تاريخية فريدة، تجمع بين نضوج المؤثرات الضاغطة لتشكيل الظاهرة الابداعية الجديدة، مع جهوزية التوق الشخصي لتمثيل نتائج تلك المؤثرات.

هل كان ذلك التلاقي محض "صدفة"، بحيث استطاعت المعمارة ان تجيّر تأثيراته لصالحها ولجهة مقاربتها التصميمية؟

– ربما!. وهل ان "اقتناص" الصدف، أمر معيب رغم اننا نميل للاعتقاد مع كارل ماركس، من ان "الصدفة: ضرورة تاريخية"!. ومهما يكن فان اللحظة الابداعية المنشودة، قد فُهمت، وتم الامساك بها، والاشتغال على "منوالها". ولتنطوي السنين القادمة على مزيد من ترسيخ مقاربة معمارية مميزة في الخطاب، دأبت زهاء بجهد مضنٍ، واجتهاد عالٍ على اظهارها بمزيد من التألق والتجدد والفرادة التكوينية. وبات "الديبو" Début الجريء والمثير للسجال، الذي ظهرت به زهاء، فجأة، في بداية الثمانينيات، وقد بدا يشكل بالوقت الراهن، سجلا غنياً من الانجازات الابداعية الهامة والمتنوعة. فهي، الان، ليست "معمارة قرطاس" Paper Architect، كما كان يطلق عليها؛ وانما صاحبه مشاريع متعددة منفذة في مناطق جغرافية واثنية مختلفة، تمتد من اقاصي الصين مرورا باوربا وبلدان الشرق الاوسط، لتصل الاراضي الامريكية البعيدة. وأمست الكثير من مبانيها ذات الوظائف المتنوعة، بمثابة "ايقونة" معمارية في فضاءات المدن التي نفذت فيها. وهي الان، تحصد الجوائز المهنية الرفيعة ذات الاعتبار المهني العالي، فهي المعمارة / المرأة الاولى، التي نالت جائزة بريتزكر Pritzker المرموقة (٢٠٠٤)، وقبلها في عام ٢٠٠٣، حازت على جائزة الاتحاد الاوربي للعمارة المعاصرة، كما منحت جائزة "ريبا" البريطانية على مدى سنين عديدة: في ٢٠٠٥، و٢٠٠٨، و٢٠١٠، وفي عام ٢٠٠٧، ونالت جائزة "ميس فان دير رو" المعمارية الاوربية، كما حصلت على جوائز خاصة من الولايات المتحدة وغيرها من البلدان.

وتحرص المتاحف الفنية العالمية والغاليريات المشهورة على تنظيم معارض خاصة لتصاميمها المعمارية وغير المعمارية، ففي عام ١٩٩٥، نظم معرض لها في مدرسة الدراسات العليا للتصميم في جامعة هارفرد الامريكية، وفي سنة ١٩٩٧ افتتح معرضها في متحف الفن الحديث في سان فرنسيسكو، وافرد لها حيز خاصا في جناح بريطانيا في بينالي فينيسيا عام ٢٠٠٠، ونظم متحف الفن التطبيقي الحديث في فيينا معرضا خاص لها عام ٢٠٠٣، وقبلها في عام ٢٠٠٢، كانت اعمالها موضوعا لمعرض اقيم في المركز الوطني للفن الحديث في روما. ونظم معرضا شاملا استعاديا لها ولاعمالها في متحف "سالمون غوغنيهايم" الشهير في نيويورك عام ٢٠٠٦، وفي السنة التالية (٢٠٠٧)، نظم "متحف التصميم" بلندن معرضا لاعمالها.

وهي بالاضافة الى عملها التدريسي في مدرسة AA بلندن، فهي ايضا استاذة زائرة لدى اشهر المؤسسات الاكاديمية العالمية، فقد عملت في هارفرد، وبرينستون وفي جامعة فيينا والمانيا واليابان وحصلت على اعلى الشهادات التقديرية من مؤسسات اكاديمية رصينة. وصور فيلم خاص عنها (يوم مع زهاء حديد) في عام ٢٠٠٤، انتجته نيويورك. وينشر، كل عام، عنها مزيدا من الكتب العلمية، التي تعدد وتسجل مقاربتها التصميمة وتقيمها. كما لايخلو اي عدد من اعداد المجلات المعمارية المعروفة العالمية، عن متابعة جادة لتصاميمها المتنوعة. وعدتها مجلة "فوربيس" Forbes عام ٢٠٠٨ في المرتبة ٦٩ في قائمتها: (اقوى ١٠٠ امرأة في العالم)!. كما سمتها مجلة "تايم" الامريكية في سنة ٢٠١٠، ضمن لائحتها المتكونة من ١٠٠ شخصية مفكرة ومؤثرة في العالم. اما مجلة "نيو ستيتسمان" البريطانية فقد اختارتها في ايلول عام ٢٠١٠ بمرتبة ٤٢ من قائمتها السنوية الخاصة (اهم ٥٠ شخصية نافذة في العالم). انها باختصار احدى اهم نساء العالم: اهمية وشهرة وتأثيراً، وفقا لرأي واستفتاء المراكز الاعلامية العالمية المرموقة.

لكن هذه المرأة المشهورة عالميا، والمؤثرة دوليا، والفريدة في طروحاتها التصميمية، ما انفكت تذكر بانها ابنة العراق، المولودة في عاصمته بغداد. وهي تشير الى ذلك في جميع سيرها الذاتية المنشورة، رافعة بذلك، اسم العراق عالمياً: وطنها الاول ومؤكدة على انتمائها له. لكن بلدها، مع الاسف، لا يعرف عنها الكثير: لا يتابع طبيعة انجازها، ولا يكترث بمقاربتها المهنية. ثمة بون شاسع بين ما يشغل اهتمامات الطبقة السياسية المهيمنة على المشهد العراقي بتنويعاته المختلفة، وما حققته وما تحققه "ابنة العراق" من انجازات حقيقية، اغنت بها الخطاب الثقافي والمهني العالميين. بيد ان حالة عدم الاكتراث والتجاهل والتناسي لكل ماهو ثقافي وطليعي ومؤثر، التي تلف المشهد العراقي اليوم، لا يتعين ان تكون ذريعة لصمت المثقفين والمهنيين وغيرهم من المتنورين تجاه ما يحصل الان. فالواجب الاخلاقي والمهني للمثقفين (وهو واجب طبيعي ومنتظر)، يستدعي ايقاف تأثيرات تلك الحالة وتفكيك ادواتها، لجهة تبيان ما تجره من تخلف وما تحدثه من ظلامية للعراق ولاهله.

نسمع بين فترة وأخرى، تداول اسم زهاء حديد على لسان بعض المسؤولين المحليين. لكن الفجوة العميقة الفاصلة بين ذهنية أولئك المسؤولين وبين طبيعة ما تشتغل عليه زهاء من طروحات تصميمية، تجعلنا نتوخى الحذر ازاء غايات ومرامي ذلك التداول، الذي قد يراد به ايجاد اساليب متنوعة لتلميع ذاتي، اكثر بكثير من اعطاء انطباع لاهتمام جدي لما تجترحه المصممة العالمية. في المقابل يمكن لبلد زهاء الاصلي ان يمنح العالم (ويمنح نفسه ايضا!)، عطية مميزة، بالحفاظ على اكثر الاماكن خصوصية في حياة الانسان: الحفاظ على "دارة زهاء" وبيتها، بصفته، وفقا لتعبير الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" (١٨٨٤-١٩٦٢)، "الملاذ الحميمي الذي يعود اليه الانسان دائما مهما تبدلت به الظروف والمتغيرات"؛ كما يشير في كتابه الرائع <جمالية المكان>. انه بيت العائلة الذي لطالما جسد "الحيز السعيد" او "المكان المحبوب"، وقبل ذلك بالطبع الحيز الحميم، الحيز الملاذ، اي في كلمة اكثر بساطة، كما يذكرنا بذلك الناقد "ابراهيم العريس": ذلك البيت الذي نجده في حلم اليقظة وفي كتابات الشعراء، يظهر بصفته "مبدأ حقيقيا للاندماج السيكولوجي للعالم في داخل الانا"!؛ انه باختصار شديد: البيت الاول، مسقط الرأس وحيز المستقبل، هو الذي مابرحنا نحلم به، ساكنا احلامنا، حتى وان كان وجوده المادي ..حقيقياً. ومن الجملة الاخيرة، من الحقيقة المادية لـ "دارة زهاء" في عاصمة بلدها الاصلي، يتساءل المرء ماذا حلّ بتلك الدارة، وبما آلت اليه الامور؟.

نعرف ان "بيت محمد حديد"، وهو بالطبع "بيت زهاء حديد"، يقع في منطقة البتاويين، خلف ما كان يعرف "بالبيت الابيض" – مقر ضيوف الدولة العراقية سابقاً. وقد تم تشييده في الثلاثينيات أو بالأحرى في النصف الثاني من الثلاثينيات. نعرف أيضا، ان مصممه مهندس سوري كان يعمل في العراق وقتئذ، اسمه "بدري قدح". وقد صمم ايضا دورا سكنية لنخبة العراقية وقتذاك، بضمنها بيت كامل الجادرجي في شارع طه بالاعظمية، وبيت عبد العزيز القصاب بكرادة مريم بالكرخ. كما انه مصمم "كلية فيصل" في الاعظمية، بالقرب من الضريح الملكي. هذا بالاضافة الى عمله المتنوع والمتشعب في مديرية الاشغال العمومية. واحتفظ شخصيا في ارشيفي الخاص على صورة تصميم له شارك به في مسابقة معمارية اجريت في الثلاثينيات لتصميم "المتحف الاسلامي ببغداد"؛ وتبين لي، لاحقا، بان المعالجات التصميمية للمشروع المقدم تشبه الى حد كبير الحلول التكوينية لمبنى عام دمشقي، كان قيد شيد في العاصمة السورية في وقت سابق. ورغم اهمية ما صمم بدري قدح في عراق الثلاثينيات، فان سيرته الذاتية ظلت مشوبة بالغموض. لكن زميلي د. احسان فتحي استطاع ان يجمع معلومات عنه، تفيد بانه مولود في دمشق سنة ١٩٠٥، وتوفي فيها (١٩٧٢). وقد درس الهندسة في كلية الاشغال العمومية في باريس مابين ١٩٢٨ الى ١٩٣١، (والمرجح بانه درس الهندسة المدنية وليس العمارة)؛ وعمل في بغداد التي وصلها سنة ١٩٣٢، وظل فيها لحين حركة رشيد عالي في ١٩٤١، بعدها غادر الى المانيا.

لقد زرت ميدانياً غالبية المباني المصممة من قبل بدري قدح، انطلاقاً من اهتمامي بمنجز عمارة الحداثة بالعراق: الموضوع الاثير لدي، اكاديمياً وشخصياً. احياناً كانت تلك الزيارات بصحبة اصدقاء لي، لهم علاقة ما مع تلك المباني.؛ فمع رفعة الجادرجي زرت بيت والده في شارع طه، ومع خالد القصاب في الثمانينيات، عاينت بيت ابيه في الكرخ. وعندما ابديت رغبة، في التسعينيات، لدى أستاذي وصديقي (المرحوم الآن) المعمار جعفر علاوي، بزيارة بيت محمد حديد، وافق سريعا، ونظّم لي زيارة خاصة الى محمد حديد، ولكن في ...فندق الرشيد، الذي اليه انتقل "حديد" للسكن في احد اجنحته، بدلا من العيش في بيت شبه فارغ من اهله وسكانه، الذين تفرقوا عنه بحكم طبيعة عملهم واهتماماتهم. لكني استدليت، لاحقا، عن البيت، وعرفت مكانه تحديدا، جراء شروحات اصدقائي ومعارفي عنه، بضمنهم محمد حديد نفسه.

عندما حرصت على تصوير الدار، اثناء وجودي في بغداد مؤخرا، كمكان مهم ثقافيا ومعماريا على المستويين المحلي والعالمي، كونه بيت زهاء حديد، اصطحبت معي صديقي "رغيب اموري" المصور الفوتوغرافي، تأمينا وتشجيعا لي من تبعة احتمالات الاسئلة التي قد يثيرها الكثيرون، اثناء التصوير في مدينة تعيش على وقع العمليات الارهابية التي تطولها بين فترة وأخرى. و"رغيب" بجسمه الضخم، ووثيقته الهامة التي تشير بانه صحفي ومصور فوتوغرافي، يعرف جيدا ادارة الحديث مع كل من تسول له نفسه طرح تساؤلات عن ماذا نعمل، ولاية غاية نصور!. لكني، وتحت وطأة احتمالات المساءلة من قبل أي كان، وما تثيره رؤية الكاميرا من وجل ورعب حقيقيين لدى المارة، ضللت طريقي إلى البيت المقصود. وتبين لي لاحقا، باننا صورنا دارا، لاتمت لزهاء او لاهلها بصلة. وعند رجوعي الى ارشيفي التصويري، تحقق حدسي في الخطأ المرتكب. وفي اليوم التالي زرت المنطقة بمفردي وعرفت مكمن خطي. وظهر ان الدار المصورة تبعد عشرات الامتار عن بيت زهاء الذي يقع مباشرة خلف القصر الابيض.

على ان وقع هذه الحادثة، اثارت لدي شكا ممزوجا بالارتياب، عن امكانية خطأ الاستدلال الصحيح عن البيت المقصود. ماذا لو ان البيت الذي احدس بانه بيت زهاء، هو ليس بيتها؟ من الذي يؤكد ذلك، ويجعله مطابقاً؟. اين يمكنني ان استقي المعلومة الصحيحة والمؤكدة؟ هل يمكن ان تسعفني المؤسسات الاكاديمية والمهنية المهتمة في العمارة والعمران؟ – لا اعتقد، لاني واثق بان ارشيف المدارس المعمارية العاملة في بغداد لا تمتلك مثل هذه الجزئيات او ما شابهها، كما اني اشك بان المؤسسات المهنية الاخرى يقع ضمن اهتماماتها مثل هذه المعلومات. وتبين لي عمق تراجيديا الحالة العراقية، تلك الحالة، التي ظلت تعتمد على "التاريخ الشفاهي" في تسجيل احداث البلاد. وبضياع الوثائق القليلة المكتوبة وتلفها، ولاسيما في الفترة الاخيرة، بدت المدينة التي اسعى وراء البحث عن تاريخها المعماري، وكأنها فاقدة لذاكرتها!. لكني اعلم، بان الاسهاب في الحديث عن هذه المسألة الشائكة والمحزنة والموجعة، ليس مكانه هنا، فانا في حاجة ماسة لازالة شكوكي التي نبتت فجأة امامي، جراء اعتمادي على "شفاهية المعلومة" التي امتلكها.

وباستدلالي على فكرة طريفة، مفادها إمكانية مراسلة زهاء حديد نفسها، لتأكيد عائدية البيت المعني، سارعت للكتابة اليها، راجيا الحصول على تأكيدات منها على ما يدور عندي من شكوك. واجابت بسرعة، مستفسرة عن طريق سكرتيرتها الشخصية الانسة "مي يي جنغ" Mey Yee Cheng، وكما توقعت، عن من اكون، وعن طبيعة ما اقوم به من دراسة، وهل يمكن ارسال صور اضافية وخصوصا للواجهة الامامية؟ وتم ارسال ما ارادت، واستلمت منها رسالة اخرى عن طريق السكرتيرة، مندهشة للحالة التي وصلت اليها الدار، ومتسائلة هل يمكن ان يكون احد ما ساكنا فيه؟. وبهذا فقد ازالت زهاء، في الاخير تلك الشكوك عن عائدية المبنى. وبقي عليّ ان اعجل في تصويره، مرة اخرى، توجسا من امكانية هدمه او تلفه او ضياع معالمه الاصلية. واستنجدت في هذه المرة، باصدقائي في مؤسسة "المدى"، لتسهيل عملية المسح التصويري. وبتعاضد من الصديق علاء المفرجي، وبمساعدته، تمت الموافقة بسرعة، على ان يرافقني مصور الجريدة، مزودا بكتاب صادر عن ادارة المدى، لتسهيل مهمتنا التصويرية ومعنون لمن يهمه الامر!.

لم نستطع تصوير البيت من الداخل، كان مقفلاً، والحارس المسؤول عنه مختف منذ فترة، كما قيل لنا. واكتفيت بلقطات خارجيةً سريعة له، تظهر التجاوزات البنائية الكارثية غير المقبولة والحالة المزرية التي آل اليها البيت العتيد؛ ذلك البيت الذي منح طفولة زهاء حديد، عالماً خاصاً مكتنزاً بزواياه الحميمية، والتي بها، ووفقا دائما لكلمات غاستون باشلار، بمقدور الطفل ان "يتمدد ويعيش ويتأرجح كما يحلو له، مؤسسا بيته الخاص به، داخل البيت الكبير..".

..وهذا البيت الكبير، المنزوي الآن في حي البتاويين ببغداد، يمكن له ان يكون منتدى معماريا، تقام به المعارض الفنية وتعرض في احيازه مشاريع العمارة والعمران، وتسمع في ارجائه محاضرات واحاديث عن الفن والعمارة، والاهم ان تكون هيئته المعمارية متطابقة مع فترة سكن زهاء حديد به، كمكان مميز، واجب الحفاظ، يستقي اهميته من اهمية المرأة التي ولدت وترعرعت فيه، هي التي تعتبر الآن فخر الثقافة الانسانية، وليكن حضوره، ايضا، اشارة احترام وتقديرا لابنة العراق من قبل بلدها الاصلي.

واذ اناشد جميع المؤسسات المحلية المهتمة بالثقافة والعمران، للعمل سريعا على اعادة البيت العتيد، الى ما يمكن ان يكون رمزا ثقافيا وفضاء حضاريا، فاني ادعو تحديدا الجمعية العراقية لدعم الثقافة، والتمس من صديقيّ مفيد الجزائري ود. معتز غزوان، وكذلك اناشد مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون، ورئيسها المحب للثقافة فخري كريم، كما اناشد الاستاذة ميسلون الدملوجي، بصفتها نائبة بالبرلمان، وبصفتها رئيسة للتجمع النسائي العراقي المستقل، وبصفتها مثقفة وبكونها معمارة، ايضا؛ واناشد بشكل خاص جميع الجمعيات النسوية العراقية، والتمس المساعدة من المثقف الاستاذ سعدون الدليمي، وزير الثقافة، مثلما التمسها من الاستاذ صابر العيساوي، امين بغداد، والمحب الى رؤية عاصمتنا مدينة مزدهرة وثقافية، كما استنجد بالمكاتب الثقافية في رئاسة الجمهورية، و بمكاتب دولة رئيس الوزراء، للعمل معا والتنسيق مع اصحاب البيت الشرعيين، في تحويل "دارة زهاء" الى فضاء ثقافي، بمقدوره ان يدخل سجل اليونسكو الثقافي الواجب الحفاظ، وليكن حضوره في المشهد الثقافي العراقي بمنزلة أيماءة احترام لها من ناس وطنها الأصلي، ودلالة تقدير تليق بابنة العراق الذي رفعت اسم بلدها عاليا بين الامم.